مع الصحافة

يهودية وصهيونية

مقال للشيخ محمد الغزالى الكاتب المعروف نشرته مجلة الوعى الاسلامى فى عددها الصادر بتاريخ ذى القعدة ١٣٨٩ هـ يناير ١٩٧٠ م ننشره بتصرف .

سمعته يقول : اليهودية شيء والصهيونية شيء آخر .. اليهودية دين سماوى كالنصرانية والاسلام أما الصهيونية فنزعة سياسية متطرفة استغلها الاستعمار الغربى لبلوغ مآربه ، اليهودية دين قديم له مصادره المقدسة أما الصهيونية فحركة حديثة ولدت فى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد وغذتها ونمتها ظروف عنصرية ودولية طارئة .

قلت له : تعنى أن اليهودية لا أطماع لها فى فلسطين وأنها لم تبيت عدوانا على العرب الامنين ، وان التوراة والتلمود وسائر الاسفار المقدسة بريئة مما تفعله الان دولة اسرائيل **وأن الحرب المعلنة علينا من خمسين سنة ليست دينية ؟!**

قال نعم هذا بدقة ما أريد أن أذكره .. قلت : أو لو قرأت عليك من نصوص الكتب المقدسة ما يدحض هذه الاوهام قال : كيف ؟ يستحيل أن تتضمن هذه الكتب استباحة أرضنا وجنسنا والاستهانة بحقوقنا المؤكدة .

قلت بل سأقرأ عليك من الكتب المقدسة المتداولة بين أيدى القوم ما يزيح هذه الغشاوة عن الاعين وما يشرح أن فلسطين كانت ملكا لبنى اسرائيل خاصا بهم وانهم أجلوا منها عقابا الهيا للاثام التى ارتكبوها وان الاله الذى عاقبهم تجاوز بعد عن سيئاتهم وقرر اعادتهم الى أرضهم الاولى كى تفيض عليهم سمنا ، وعسلا وخمرا . وان هذا الاله ندم على ما فعل بشعبه المختار ورد اليه مجده ووطنه كى تتوطد

سلطته وسيادته على أنقاض غيره من الامم !

هكذا تقول صحائف التوراة والتلمود واصحاحات العهد القديم التى يتعبد اليهود فى المشرق والمغرب بتلاوتهاوالتى يستوحون منها سياستهم فى القديم والحديث على سواء !!

وعلى ضوء هذه السطور المقدسة ، بل على نارها المحرقة أكلت حقوق العرب وتواصى الاوربيون والامريكيون باجتياحها .

ثم جاء اليهود فى الوقت المناسب ليتسلموا أرض الميعاد التى حدثتهم كتبهم عنها ، وباشروا حرب الابادة التى لا بد منها ليسود جنسهم وتقوم مملكتهم !!

وقد كانوا فى اقبالهم من شتى القارات الى فلسطين معبئين بشعور دينى عارم تعمل من ورائه هذه النصوص ، **كما أنهم فى بنائهم دولة اسرائيل ومقاتلتهم العرب أصحاب الارض كانوا مفعمين بهذه العاطفة الدينية المرتكزة على كلمات التوراة والتلمود واصحاحات العهد القديم .**

اننا معشر المسلمين- نؤمن بموسى وتوراته أما ما دونه جامعوا العهد القديم ونسبوه الى الله فأمر آخر يتجاوز فيه الحق والباطل والجد والهزل !!

ونحن نجزم بأن الله لعن بنى اسرائيل لعصيانهموعدوانهم،ونستفيد هذه الحقيقة من كتابنا الوثيق قبل استفادتها من أى شىء آخر فهل تغير من خلائق اليهود ما استحقوا من أجله اللعنة ؟

لقد مرت آلاف السنين على هذا الشعب المطارد ، قاتل الانبياء المتمرد على وحى السماء !

وبعث الله عيسى اليهم فكذبوه وحاولوا قتله ، وبعث اليهم محمدا من بعده فكذبوه وحاولوا قتله ، وتتابعت الاعصار وهم حيث حلوا فى أرض الله نماذج للاثرة والقسوة وأكل الربا واشاعة الخنا بيد أن كاتب العهد القديم وعد اليهود بأنهم سيعودون الى فلسطين التى نفوا منها وتوارث القوم هذا الامل ، وأحسوا كأن هذا القطر ارث لا بد أن يؤول اليهم ، وأن غيرهم طارىء عليهيجب أن يزول ، وعلى هذا الاساس عوامل العرب وعولج وجودهم التاريخى والدينى !

ولنقرأ هذه الكلمات من العهد القديم (برائحة سروركم أرضى عنكم حين أخرجكم من بين الشعوب ، وأجمعكم من الاراضى التى تفرقتم فيها ، وأتقدس فيكم أمام عيون الامم فتعلمون أنى أنا الرب حيثآتى بكم الى أرض اسرائيل الى الارض التى رفعت يدى لاعطى آباءكم اياها)

٤١ـ٤٢ من الاصحاح العشرين حزقيال أي نشـــوة دينية تغمر اليهـــود وهم قادمون من كل فج صوب أرض فلسطين ؟ وهذا النص الديني يسوقهم! وقبل أن استطرد فى ايراد النصوص الدينية التى تحدث اليهود عن أرض الميعاد وعن قيام دولة جديدة لهـــم لا بد من أن أقف لاشرح وأشرح !

ان بنى اسرائيل لم يحدثوا توبـة يستحقون بها الرحمة العليا ، فهـــم تائهون عن الحق فى مجال الاعتـــقاد والعمل ، وهم وراء أزمات الايمـــان والاخلاق التى تزلزل الكيان البشرى وتهدده بالدمار الفاشل •

وعودتهم الجزئية الى فلسطـــين ترجع أولا وآخرا الى طبيعة الجبهـــة المناوئة لهم أو الى احوال الامـــة التى ورثت الدعوة من بعدهم ان العـــرب تخلوا عن قيادة الدعوة العالمية للاسلام بل تجردوا من جملة فضائله وعزائمه بل تسلمت السلطة فى بعض أقطارهم حكومات ترفض الاسلام دولة وتكرهه نظاما (!) فى هذا الليل المعتكر من الفتن المتلاحقة قد يأذن الله لليهود بعودة لا قرار لها لان اليهـــــود لا يحملون بذور رسالة انسانية صالحة ولان حملة الرسالة الاسلامية الباقيـــة سوف يستفيقون من غفلتهـــــم أو يتغلبون على هزائمهم ويستأنفـــون مقاتلة اليهود حتى يجهزوا عليهـم • **أليس من تعاجيب الليالى أن تتخـــلى الامة العربية عن الاسلام ؟ عن الحق الذى رفع الله به قدرها ؟ وتزعـــم وسائل الاعلام بها أن قضية فلسطين ليست اسلامية ! وذلك فى الوقـــت الذى يتشبث العبريون فيه بتوراتهـم ويعدون فيه فلسطين قسمة الهية لهم؟**

وهل يبحث عاقل عن سرهزائـــم العرب بعد هذا التفاوت الهـــائل فى الروح المحرك لكلا الفريقين ؟ فلنقرأ عن أرض الميعاد لا كما يتحدث كتـــاب الصهيونية ، بل كما يتحدث العهـــد القديم نفسه لنقرأ هذا النـــــص الطويل :

(لذلك فقل لبيت اسرائيل ـ هكذا قال السيد الرب ـ ليس لاجلكـــم أنا صانع يا بيت اسرائيل بل لاجـــل اسمى القدوس الذى بخستمـــوه فى الامم حيث جئتم ، فأقدس اســـمى العظيم المبخس فى الامم ، والـــذى بخستموه فى وسطهم ، فتعلم الامم أنى أنا الرب يقول الســـيد الرب : حين أتقدس فيكم قدام أعينهم وآخذكم من بين الامم وأجمعكم فى جميـــع الاراضى وآتى بكم الى أرضكم وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كـــل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم، وأعطيكم قلبا جديدا ، وأجعل روحـــا جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلـــكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها وتسكنون الارض الـــتى أعطيت آباءكم اياها وتكونون لى شعبـــــا

وأنا أكون لكم الها ٠٠ واخلصكم من كل نجاساتكم ٠

وأدعو الحنطة وأكثرها ولا أضع عليكم جوعا وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل لكيلا تنالوا بعد عار الجوع بين الامم فتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم لا من أجلكم أنا صانع ـ يقول السيد الرب ـ فليكن معلوما لكم ، فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت اسرائيل ـ هكذا قال السيد الرب ـ فى يوم تطهيرى اياكم من كل آثامكم أسكنكم فى المدن فتبنى الخرب وتفلح الارض الخربة عوضا عن كونها خربة أمام عينى كل عابر ، فيقولون هذه الارض صارت كجنة عدن والمدن الخربة والمقفرة والمهدمة محصنة معمورة فتعلم الامم الذين تركوا حولكم أنى أنا الرب بنيت المنهدمة وغرست المقفرة أنا الرب وتكلمت وسأفعل ـ هكذا قال السيد الرب ـ

بعد هذه أطلب من بيت اسرائيل لافعل لهم أكثرهم كغنم أناس كغنم مقدس كغنم أورشليم فى مواسمها ، فتكون المدن الخربة ملآنة غنم أناس فيعلمون انى أنا الرب) ٢٢ـ٣٨ الاصحاح السادس والثلاثون حزقيال ٠

وهذا النص أيضا (هوذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الارض غير أنى لا أبيد بيت يعقوب تماما ـ يقول الرب ـ لانه هأنذا آمر فأغربل بيت اسرائيل بين جميع الامم كما يغربل فى الغربال وحبة لا تقع الى الارض ٠ بالسيف يموت كل خاطئى شعبى من القائلين لا يقترب الشر ولا يأتى بيننا فى ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة وأحصن شقوقها وأقيم روحها وأبنيها كأيام الدهر لكى يرثوا بقية أدوم وجميع الامم الذين دعى اسمى عليهم ـ يقول الرب الصانع هذا ـ

ها أيام تأتى يقول الرب يدرك الحارث الحاصد ودائس العنب بأذر الزرع ، وتقطر الجبال عصيرا وتسيل جميع التلال وأدرسبى شعبى اسرائيل فيبنون مدنا خربة ويسكنون ويغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون ثمارها وأغرسهم فى أرضهم ولن يقلعوا بعد أرضهم التى أعطيتهم قال الرب الهك ٠٠) ٨ـ١٥ الاصحاح التاسع ، عاموس ونختم بهذا النص :

(هكذا قال رب الجنود : هأنذا أخلص شعبى من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس وآتى بهم فيسكنون فى وسط أورشليم ويكونون لى شعبا وأنا أكون لهم الها بالحق والبر) ٧ـ٨ الاصحاح الثانى ، زكريا ٠

هذه نصوص لم يكتبها - موسى ديان - فى هذا القرن ولم يكتبها هرتزل فى القرن الماضى ولم تتمخض عنها مؤتمرات الصهيونية المنعقدة فى سويسرا أو فرنسا ·· انها عند ذويها آيات وحى يتلى ومعالم دين يتبع ·

وليس اليهود وحدهم الذين يوفون بهذه الوعود السماوية لبنى اسرائيل بل كثير من النصارى الذين يجعلون اصحاحات العهد القديم أجزاء من الكتاب المقدس ، خصوصا الكنائس الانجيلية (البروتستانت) الذين يمثلون أكثر شعوب انجلترا والولايات المتحدة !!

ولكن عصابة من الكتاب العرب أخذت على عاتقها تغطية هذه الحقائق الدينية والزعم بأن (اسرائيل) تمثل الصهيونية ولا تمثل اليهودية وان الدين لا علاقة له بهذه الحرب الناشبة لابادة العرب وتهويد فلسطين !

أهو الجهل الاعمى ؟

ربما · ومن البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يبصره ·

أهو الاقصاء المتعمد لدور الاسلام فى المعركة ؟

ذلكم أغلب الظن ، بل هو جملة اليقين وعمل اولئك الكتاب هو تسميم الفكر العربى حتى يدخل العرب معركتهم الحاسمة بلا روح أى بلا ايمان دينى واضح دافع ·

ربما عابوا السمو الأدبى بأنه قليل:	ولكن الخير كذلك
وبأنه مخالف :	ولكن الحق كذلك
وبأنه محير :	ولكن الحسن كذلك
وبأنه كثير التكاليف :	ولكن الحرية كذلك ·

الرافعى